

Translating The Difference in *The Land of An African Sultan* by Walter B. Harris

ترجمة الاختلاف في مملكة السلطان الإفريقي لوالتر بورتن هاريس

Dr. Soufiane Laachiri 

Researcher, Abdelmalik Essaadi University, Morocco

✉ **Corresponding Author:** Hakeem Salmon, **E-mail:** soufiane.laachiri@gmail.com

ARTICLE INFORMATION

Received: July 11, 2021

Accepted: August 07, 2021

Volume: 4

Issue: 8

DOI: 10.32996/ijllt.2021.4.8.3

KEYWORDS

The Land of An African Sultan,
Walter B. Harris

ABSTRACT

The present article focuses on the discursive translation of colonial knowledge as a set of complex statements of power and exclusion in Harris' *The Land of An African Sultan*. This discursive process of translation acts as a continuum for the main foundations upon which post colonial consciousness, as articulated by such third world critics as Edward Said, Homi Bhabha and Gayatri Spevak, is generically based. The book is also a scientific encyclopedia which highlights a historical era with all its political and military events. It also describes the Moroccan society, its people, its political regime, its Zawaya, its culture, its customs and beliefs, its climate and geography, its architecture and landscape, its races, and even its demons. In so doing, Harris was paving the way for European imperialism through his constant descriptions and representations of the Moroccan other. His travels throughout the entire country as a traveler, and his reports about that as a journalist of *The Times* have explained the close relationship between Colonialism and travel writing. This relationship, being mutually a sustained way to create images of vacant spaces over time and place, highlights settlement in, and improvement of 'primitive' lives which were viewed as 'uncivilized'. It also justifies the colonial enterprise which came to escalate development of the colonized land and work for the welfare of its peoples. In this dual process of interaction, translation plays significant roles.



Walter B. Harris

(From the album of Younes Cheikh Ali)

تقديم:

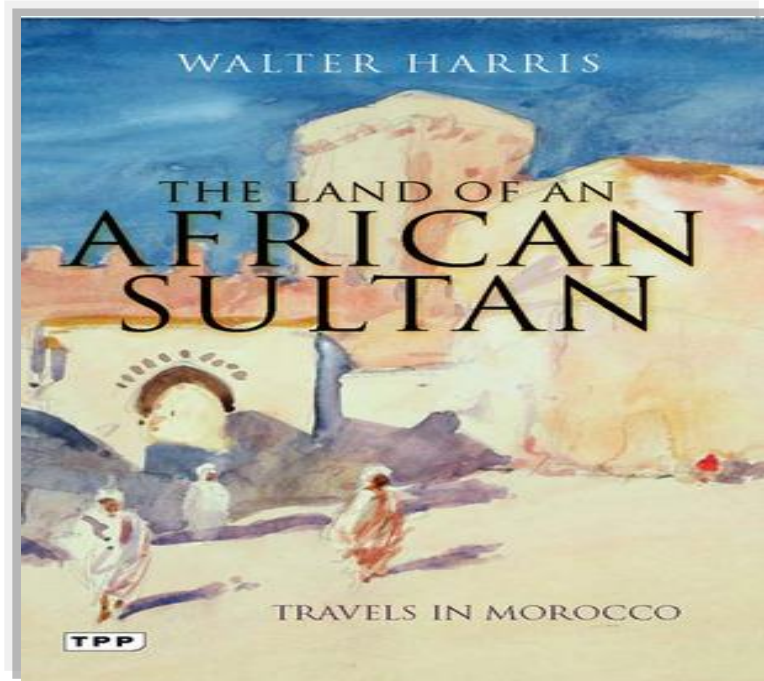
الترجمة في الحضارة الإنسانية ركن ركين، فمنذ وجود الإنسان على وجه الأرض و بداية استعمال أدوات التواصل من أصوات و لغات و حركات و رسومات، بدأت حركة الترجمة بشكلها البدائي أولاً، ثم بعد ذلك ازدهرت الترجمة بكل أصنافها وتخصصاتها. و مع ازدياد المد الحضاري و ارتفاع موجة العولمة و تبدد كل الحواجز الترابية و الثقافية و الحضارية، أصبحت الترجمة بمثابة حجر الزاوية في كل مناحي الحياة. و قد أزداد حجمها وتأثيرها و الحاجة إليها بحكم التوسع المعرفي و مجتمع المعلومات و طفرة العولمة.

غير أن مقارنة الترجمة اختلفت باختلاف المشتغلين بها. فقد كثرت الاتجاهات والنظريات، و نشأت مدارس عملت على تطوير مفاهيم جديدة و تقديم نماذج يحتذى بها في هذا المجال. لكن السجال ظل قائماً حول كيفية تدبير الاختلاف المرتبط بنقل خطاب ما من لغة إلى أخرى. فهل تراعى البنية الداخلية للغات مثلاً؟ أم أن العوامل الخارجية من مرسل و متلقي، و سياق المقام، و السياق الثقافي هي ما يجب الركون إليه من أجل تذييل فهم النصوص و من ثمة نقلها إلى لغات أخرى؟ ثم كيف تترجم الذات ما كتب عنها؟ فهل تسترد حقها ممن تحامل عليها بلسان آخر؟ أم أن الوفاء للنص يضل دائماً المقصد الأسمى في كل عملية ترجمية رغم أن هذا الأمر يزيد من إتيان الجراح عند الآخر، المتلقي المغربي في حالتنا هذه، الذي تكلم عنه هاريس بالنيابة بعد أن أمعن في إسكات صوته .

على هذا الأساس ارتأينا أن نقدم في هذا المقال منهجية تدبير الاختلاف مع الصحفي و الجاسوس البريطاني والتر هاريس الذي نترجم خطابه من خلال كتبه التي كتبها عن المغرب أهمها : مملكة السلطان الإفريقي، و فرنسا اسبانيا و الريف. و هي منهجية تتجاوز الرؤية المعيارية التي تقف عند حدود ممارسة الترجمة التي تنشد السلامة اللغوية و الدلالية، إلى الرؤية المعرفية التفكيكية التي تكشف عن أغوار مقصدية كاتب النص و تفك شفرات فهمه للآخر و حكمه عليه. فكاتب ' تافيلالت'، و 'المغرب الذي كان' و 'أرض السلطان الإفريقي' و فرنسا اسبانيا و الريف، يضمن كتبه عدة مراسلات سلطانية و نصوص صحفية و أسماء جغرافية و عبارات من لغة التواصل اليومي للمغاربة بلغة انجليزية بعد أن قام بترجمتها بنفسه من العربية. غير أن آليات و طرق اشتغاله على ترجمة هذه النصوص تغيب عنها المستويات الثقافية، و بالتالي يظل التفاعل بين المستويات السياقية و المعجمية معيباً بشكل كبير. و لهذا سنحاول تقديم نماذج توضح بشكل جلي الاختلاف بين الذات التي تترجم ما كتب عنها، و بين الآخر الذي يترجم ما يفهمه بطريقة الخاصة .

والتر هاريس في مواجهة الآخر:

لقد عاش والتر هاريس في المغرب و في طنجة تحديداً لمدة تزيد عن الثلاثين سنة، و هي مدة كافية لتعلم لغة البلد و تمثل ثقافته و عاداته. كما أن وجوده في البلد تزامن و بوادر قرب نهاية استقلال المغرب بعد وفاة احد أقوى سلاطين الدولة العلوية، مولاي الحسن الأول. هنا يمكننا القول بأن فترة انهيار الثقافة المغربية و ارتخاء الظروف السياسية و العسكرية قد ساعد هاريس في كل مساعيه لإنتاج معرفة حول المغرب و شعبه بصفته رحالة و مراسلاً لمجلة التايمز البريطانية. و هي معرفة يطبعها التحامل على المجتمع المغربي في مقابل تزكية النظرة الهاريسية للمركزية الغربية و شرعنة أسسها الميتافيزيقية و البنيوية. و هنا أود أن أوضح بأنني لا أصادر حق والتر هاريس في قول ما يشاء عن المجتمع المغربي و ترجمة لغته بما يراه مناسباً، لكنني أريد أن أقول بأن خطابه في جل كتبه، رغم تسربله بسريرال الجمال، و تحليله بدقة الوصف، فإن معناه ليس شريفاً و غايته ليست سامية. و هكذا فإنني استوقفت في أكثر من مناسبة لتأمل صورة ذلك لمغربي الآخر الذي انطقه هاريس حين ترجمه كلام برابرة غوغاء ينشد الدهماء. و ليس لهاريس من شيء يفعله سوى تمجيد التفوق الأوروبي و تبين اليد العليا للغرب على المغرب تنويراً و تعليماً و تنقيفاً و تمدنياً. و هكذا فقد تحولت الكلمات عند هاريس الي أدوات للقتال يستعملها للتراشق كلما تعلق الأمر بالحديث عن مركبات النقص عند الشعب المغربي الذي يتهمه بالهرطقة و الأباطيل.



صوت الذات المقاومة للتميط الكولونيالي:

بما أننا عرفنا قصد هاريس من وراء إنتاجه للمعرفة فانه مع ذلك لا يسيطر سيطرة تامة على الأداة التي يستعملها، وهي اللغة. بحيث يشكلها وفق تصورات المسبقة. ولكنها أي اللغة تفرض شروطها وتتحول من وسيلة إلى لاعب أساسي في عملية الترجمة. و من هنا أود أن أسرد هفوات هاريس المقصودة عنلي أبلغ الأسباب التي أدت إلي خرق هاريس المتعمد للقواعد اللسانية و خاصة الفونولوجية و المورفولوجية.

فلنتأمل مراسل صحفي لمجلة عالمية يعيش في المغرب لمدة ثلاثة و ثلاثين سنة، يتكلم العربية بطلاقة و فصاحة، يؤم بالناس خطيبا للجمعة في قرية الرمان ضواحي طنجة، و كل هذا يحدث في مغرب نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين. و هو مغرب الكتاتيب القرآنية و المدارس النحوية و الجامعات التقليدية و المعاهد العريقة. و هو مغرب يعتمد في كل المؤسسات الألفة الذكر علي أهم متون النحو العربي من ألفية ابن مالك و أجرومية ابن أكرم و مصنفات اللخمي و السهيلي و الجزولي و ابن طاهر و غيرهم. فكيف تفك عقدة لسان هاريس و يسعفه نظامه الفونولوجي عندما يكتب بعض الكلمات بالانجليزية و يحافظ على نفس تأثيرها الصوتي في العربية، و من هذه الكلمات:

السلطان Sultan، سيدي محمد الحاج Sidi Mahammad Hadj، العيساوي Alassaoui، شريف وزان the shereef of Wazan، الكافر بالله Kaffirbillah، الخليفة Calipha، اللا الشافية Lalla Shaafia، واد اليهود wad al ihoudi، كولو الجداة كولو البيطاطا colou jedada .
colou patata .
أما عندما يتعلق الأمر بمصطلحات أو عبارات ترتبط بالسيادة أو الهوية فان كل الأجهزة الصوتية و الفونولوجية و المعجمية تتعطل لتعطينا أجوبة تستميل النوازح الامبريالية و تكرر النظرة التبخيسية حول المغرب. و من هذه الكلمات:

الموريون أو الموروس : The Moors يستعمل هاريس هذا المصطلح في كل كتبه للحديث عن المغاربة أو الشعب المغربي. و هي ترجمة غير صحيحة إذا اعتبرنا أن هاريس يقن اللغة العربية و يستطيع استعمال كلمة مغرب، مغربي، مغاربة، حيث كان يبدع في استعمالها حينما كان يخطب بالناس كل جمعة و يرفع أكف الضراعة كما هو الواجب للدعاء لسلطان المغرب و طلب الرفاهية للمغاربة و الأمن و الأمان لبلد المغرب. و لطالما تساءلنا عن عجز هاريس الفاعق و اللعوب في فرجة كلمة Maghrebis المغاربة، و هو الذي يستعمل كلمة Maghreb في أكثر من مناسبة، و لماذا يتنكر لكلمة Moroccans الموجودة سلفا في كل القواميس الانجليزية، و لماذا لا يقوي علي نسخ الكلمة العربية و تحويرها كما هو معمول به في أدبيات الترجمة؟

و إذا كان استعمال هذا المصطلح دون غيره يبين بجلاء تحامل هاريس الممسوس بنزعة اثنية مركزية على المغاربة و كذا نسبية و قصور مرجعية أفكاره، فان وازع الرغبة في الدود عن المصلحة العليا لهذا البلد و تفويض هذا النوع من الخطابات عبر بناء مسافة نقدية يظل فعلا ضروريا يروم الانتصار لمرجعية الثقافة المغربية .

إن التعدي على حرمة اللغة عند هاريس ما هو إلا دليل على أن الأجدات السياسية و الأيديولوجية تبيح متى ما تطلب الأمر ذلك الانفلات من قوانين الألسنية لكي لا ينقض كاتبنا عرى المركزية الغربية و أسسها الميتافيزيقية.

و من بين الأمثلة الأخرى التي نجدها بكثرة عند هاريس و التي يبرهن فيها على تشبثه بالمقولات الامبريالية هي ترجمته لكلمة (القصر الصغير) إلى لغته ب Alcazar Soreir : و عند استقصائنا حول جذور الترجمة، وجدنا بأن الرجل يستعمل الكلمة الإسبانية للقصر الملكي باشبيلية. و هي الآن رمز لعظمة اسبانيا الاستعمارية. لكن الايتيمولوجيا تقول بأن الكلمة أصلها عربي نظرا لأن قصر اشبيلية بناه حكام الأندلس المسلمين و أطلقوا عليه هذا الاسم. و كان بإمكان هاريس الذي يجيد العربية بأن يرد فقط الكلمة إلى أصلها العربي و يكتب Alqasr. و إذا كانت تصورات هاريس تطمح ببعد الحاضر الامبريالي مع تغييب البعد التاريخي فان قطب الرحي في كتاباته و ترجماته يبدو متأثرا بشكل كبير بايديولوجيا الغرب الاستعماري.

و هنا تطرح مقصدية كاتب النص بحددة، و هو المبحث الذي سال فيه مداد كثير حيث أعتبره دويغران و دريسلر مقياسا أساسيا من مقاييس النصية. و هنا نود أن نذهب إلى أبعد الحدود لنتفق مع ميشو جينيت في كون العامل النفسي يسيطر دائما على ذاتية المترجم مهما كانت مهنيته. فالترجمة، كما يؤكد لويس موايال،، يمكن أن تكون فعلا خطيرا بسبب التغييرات الذاتية التي قد يجريها المترجم على مقاصد النص الأصلي، وخاصة عندما تتدخل رغبة المترجم و شخصيته، عن وعي أو لاوعي، في ترجمته، أو عندما يحكم السياق السياسي أو الثقافي الذي ينتمي إليه. و هذا بالضبط ما حدث لهاريس.

على سبيل الدحض و الاستنتاج:

لقد مرت علاقتنا بما أنتجه هاريس بمحطتين متزامنتين: أولها انهيارية و ثانياها نقدية تفكيكية. فبالنسبة للمحطة الأولى، فقد استقبلنا نصوص و كتابات والتر هاريس بكثير من الاندهاش و ذلك بسبب غزارة معلوماته و منتوجه الفكري. تلك المعلومات المفصلة في كثير من الأحيان تولد مشاعر الأسى لكونها كانت متاحة لأجنبي دخل إلى المغرب في فترة كان فيها الحصول على المعلومة أو الوصول إليها يكاد يكون مستحيلا. كما أن التحكم في هذا الخطاب المنتج عن المغرب ظل لفترة طويلة بمنأى عن المسائلة النقدية من طرف المثقفين المغاربة. أما المحطة الثانية فجاءت نقدية تفكيكية لتفصح عن وعي ذاتي، و عي الذات الثقافية التي تحاول إعادة استملاك نفسها و الإفصاح عن وعيها و التخلص ممن احتكر الرواية عنها.

أما بالنسبة لنا فان أي كلام محسوب على اللغة يحتمل المجادلة على القيم و الاختلاف على المقاييس. فغير مجدبة تلك المحاولات التي يراد بها تقزيم الثقافة المغربية و اللغة العربية و عرقلة هرولتها في معارج الرقي. فمحاولات هاريس و غيره تطحن الهواء و لا تطحنه، و المغرب بلغته و ثقافته يظل خالدا قبل هاريس و بعده .

الدكتور سفيان العشيرى، حاصل عل الإجازة في الأدب الانجليزي من كلية الآداب و العلوم الإنسانية بتطوان. كما حصل على شهادة الماجستير في الترجمة من مدرسة الملك فهد العليا للترجمة. و حصل سنة 2021 على دكتوراه الدولة في تخصص الترجمة و تحليل الخطاب من جامعة عبد المالك السعدي بتطوان المغرب. باحث في مجال الترجمة و تحليل الخطاب و دراسات ما بعد الكولونيالية و الاستشراق.

المصادر العربية:

- [1] بلقزيز، ع.ا. (2017). نقد الثقافة الغربية في الاستشراق و المركزية الأوروبية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية .
- [2] حميش، ب.س. (2011). العرب و الاسلام في مرايا الاستشراق. القاهرة: دار الشروق.
- [3] ذاكر، ع.ن. (2018). المغرب و الغرب، نظرات متقاطعة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.
- [4] ريشي، ا. (2016). رحلة في أسرار بلاد المغرب. ترجمة: بوشعيب الساوري. المغرب: أفريقيا الشرق.

المصادر الأجنبية :

- [1] Beaugrande, R. de & Dressler. (1981). *Introduction to textlinguistics*. London : Longman.
- [2] Mehrach, M. (1997). *Towards a text-based model for translation evaluation*. Ridderkerk : Ridderprint.
- [3] Said, E. (1993). *Culture and imperialism*. Great Britain : Vintage.
- [4] Said, E. (1978). *Orientalism*. UK : Routledge & Kegan Paul Ltd.
- [5] Said, E. (1993). *Culture and Imperialism*. Great Britain : Vintage.